الصحوة بين الانحراف عنها والانحراف بها

ورقة مقدمة لمؤتمر

الصحوة،دراسة في المفهوم والإشكالات

المقام

في

جامعة القصيم في الفترة بين

١٤٣٩/٧/٢٤ـ ١٤٣٩/٧/٢٥

أعدها

د.محمد بن إبراهيم بن حسن السعيدي

رئيس وحدة التوعية الفكرية

جامعة

أم القرى

مكة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن نهج نهجه، وبعد:

يمكن أن تتصور النتوءات والطفرات في كل شيء في هذه الحياة إلا في التاريخ؛ فإنه لا يعرف الطفرات التي لا أسباب لها، ولا النتوءات التي تعرض كأنها فقعة القاع ما لها من جذور؛ فالتاريخ يعبر عن سنة الله في الذين خلوا من قبل، ولن تجد لسنة الله تبديلا.

فكل ظاهرة في أي تاريخ لابد أن يوجد لها أسباب لظهورها وأخرى لتطورها وأخرى لتأثيرها فيما حولها وفيما بعدها، ولا أعتقد أنه يخرج في الحقب التاريخية الماضية شيء عن هذه المسلَّمة، لكن جهلنا بهذه الأسباب في بعض الظواهر، وعجلتنا في الحكم ربما يحملاننا على التعجل بالحكم بالنفي أحيانًا، والأصل أن نحكم فقط بعدم العلم.

والصحوة الدينية التي مرت بها بلادنا في الفترة بين نهاية التسعينيات الهجرية -وربما نقول- حتى اليوم، هي إحدى الظواهر التي ينبغي علينا حين ندرسها أن لا نغفل عن دراسة أسبابها وأسباب تطورها وأسباب تأثيرها، ودراسة هذه الأسباب كفيلة بأن تعطينا من بين نتائجها معرفة بأهم أفكارها، وأيضًا: تعطينا معرفة بعلاقاتها التواصلية والفكرية أيضا بالتيارات والمنظمات، وبالدولة محل وجودها.

الصحوة المحلية والصحوة العالمية:

إذا عرَّفنا الصحوة بأنها "زيادة المشاعر الدينية والالتزام

الديني في زمن ومجتمع مخصوص" فسوف نجد :أن مرحلة توحيد المملكة العربية السعودية ومابعد توحيدها حتى يومنا هذا بعتبر زمن صحوة دينية ؛ لكن المصطلح السائد اليوم هو قَصْر استعمال هذا المصطلح على فترة ما بعد التسعينات ؛ وقد جاءت هذه الحقبة من الزمن والمملكة العربية السعودية قد أصبحت إحدى أقوى دول العالم في التأثير الفكري ليس في عالمها العربي وحسب؛ بل في العالم الإسلامي وفي المسلمين عمومًا في سائر بلدان الدنيا؛ ولذلك أسباب كثيرة، من أهمها:

عناية الدولة بنشر المنهج السلفي الذي هو ببساطته ويسره يجعل أنظار الناس تميل إليه، وتبتعد عما سواه من المناهج، فكان لعلماء الدولة السعودية وسياساتها أثرها الكبير في نفوس المسلمين؛ مما جعلها أقوى الدول من حيث التأثير الفكري على شعوب العالم الإسلامي.

وكانت النخب الشابة العربية في تلك الفترة تعيش مرحلة رفض

وكراهية للأفكار القومية الناصرية[1] والبعثية[2] والماركسية[

([1]) القومية العربية: حركة سياسية فكرية متعصبة، تدعو إلى تمجيد العرب، وإقامة دولة موحدة لهم، على أساس من رابطة الدم واللغة والتاريخ، وإحلالها محل رابطة الدين. وهي صدى للفكر القومي الذي سبق أن ظهر في أوروبا، ومن أهم مفكريها ساطع الحصري (1968م)، وقد ظلت الدعوة إلى القومية العربية محصورة في نطاق الأقليات الدينية غير المسلمة، وفي عدد محدود من أبناء المسلمين الذين تأثروا بفكرتها، ولم تصبح تياراً شعبيًّا عامًّا إلا حين تبنى الدعوة إليها الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر، ومنه اشتق اسم الحركة الناصرية، وتبنت الأفكار القومية اليسارية العربية كالحرية والاشتراكية، وأول من أطلق لفظ (الناصرية) الصحفي محمد حسنين هيكل. وللاستزادة ينظر: فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام، صالح بن عبد الله العبود. نقد القومية العربية، الشيخ عبد العزيز بن باز- القومية العربية تاريخها وقوامها، مصطفى الشهابي، الناصرية في قفص الاتهام، عبد المتعال الجبري. الناصرية وثنية سياسية، د. فهمي الشناوي.

([2]) حزب قومي علماني، يدعو إلى الانقلاب الشامل في المفاهيم والقيم العربية لصهرها وتحويلها إلى التوجه الاشتراكي، شعاره المعلن (أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة) وهي رسالة الحزب، أما أهدافه فتتمثل في الوحدة والحرية والاشتراكية، وله طروحات فكرية متعددة يتعذر الجمع بينها أحياناً فضلاً عن الإقناع بها، لقد كُتِبَ عنه كثيرا، ولكن هناك بون واسع بين ممارسات وأقوال فترة ما قبل السلطة، وممارسات وأقوال فترة ما بعدها. وللاستزادة ينظر: حزب البعث الاشتراكي مرحلة الأربعينات التأسيسية 1940م - 1949م، تأليف شبلي العيسمي، بيروت 1975م- الحركات القومية الحديثة في ميزان الإسلام، محمد منير نجيب، مكتبة الحرمين. حزب البعث تاريخه وعقائده، سعيد بن ناصر الغامدي، دار الوطن للنشر.

[1] التي سيطرت على المشهد الثقافي والسياسي في الثمانينيات وما قبلها؛ فكان التدين وفق المنهج السلفي هو أقرب المناهج إلى قلوب تلك النخب لخصائصه الذاتية، ولمصداقية الدولة التي تقدمه للناس، وقد اختلفت النخب في تبنِّيها للسلفية، فمنهم من تبنَّاها اعتقادًا فقط، وبقي في حياته العامة على ما عليه مجتمعه؛ لكن المهم هو ميوله ومشاعره الدينية ، ومنهم من تبناها عقيدة وعملا ، ومنهم من كان بين هذين.

المهم من ذلك: أن النخب العربية عاشت مرحلة تديُّن والتزام يتفاوتون فيه بعد انتكاسة الأفكار القومية والماركسية وفشلها في تقديم حلول لنكبات العرب والمسلمين، وقد نتج عن ذلك صحوةٌ دينيةٌ في العالم العربي تجاوزت النخب إلى الشعوب، وكان لها أثر كبير في تصحيح الكثير من السلبيات الموجودة في تلك المجتمعات؛ كما كان لها أثر في إيجاد سلبيات أخر كان من أسبابها دخول الفكر الحركي على خط تلك الصحوة؛ وهو الفكر المتأثر في بعض مسائل العقيدة بالسلفية كفكرة نبذ الخرافات والبدع، لكنه معارض لها في فكر الجماعة ولزوم الطاعة؛ فضلًا عن عقيدة القضاء والقدر والأسماء والصفات التي لم تكن محل اهتمام أصلًا لدى هذا الفكر الحركي، إضافة إلى أن هذا الفكر الحركي رغم موافقته للسلفية في قضية نبذ الخرافات والشركيات إلا أن نشر هذه العقيدة لم يكن محلًّا لعنايته،

---

[1] هي الشيوعية: وهو مذهب فكري يقوم على الإلحاد، وأن المادة هي أساس كل شيء، ويؤمن بالعبثية، ويفسر التاريخ بصراع الطبقات وبالعامل الاقتصادي. وسميت بذلك؛ لأنها ظهرت في ألمانيا على يد ماركس وإنجلز، وتجسدت في الثورة البلشفية التي ظهرت في روسيا سنة 1917م بتخطيط من اليهود، وتوسعت على حساب غيرها بالحديد والنار. ولكن لا وجود لها الآن الشيوعية أصبحت الآن في ذمة التاريخ، بعد أن تخلى عنها الاتحاد السوفيتي، الذي تفكك بدوره إلى دول مستقلة، تخلت كلها عن الماركسية، واعتبرتها نظرية غير قابلة للتطبيق. وللاستزادة ينظر: السراب الأكبر، أسامة عبد الله الخياط. المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها، د. عبد الرحمن عميرة. حوار مع الشيوعيين في أقبية السجون، عبد الحليم خفاجي. الشيوعية وليدة الصهيونية، أحمد عبد الغفور عطار.

كون ذلك سوف يؤثر على مبدأ التجميع التي يعتبرونها ضرورية للحركة؛ كما اعتمدت التوجهات الحركية على فكرة المظلومية التي اشتغلوا كثيرًا على استغلالها في حشد العواطف والأتباع نحوهم.

كما أن رؤيتهم للإصلاح تبدأ من تغيير رأس الهرم ، بخلاف الفكر السلفي الذي يعتمد مبدأ إصلاح القاعدة كأولوية.

وهذا التناقض في الفكر الحركي والذي مثَّله الإخوان المسلمون، وأعني: التناقض بين نبذهم للخرافة وعدم دعوة الناس لنبذها، وإيمانهم بجاهلية المجتمع وتعايشهم معه وإيمانهم بكفر الدولة ودخولهم في مؤسساتها؛ هذه التناقضات أخرجت من قلب هذه الجماعة جماعات أخر لم تستطع استيعاب التناقض فجنحت نحو اختيار أحد النقيضين؛ فسهُل عليها أن تؤمن بالتكفير كما تؤمن بالهجرة كمخرج من هذا المجتمع الجاهلي؛ وجماعات أخر خرجت من هذا التناقض بأن تؤمن بالتوقف والتبين، وجماعات أكثر خطورة تؤمن بالعمل المسلح لتغيير الواقع.

وكل هذه الفوضى الفكرية لم يكن لها حضور قوي في المجتمعات المسلمة إلا عن طريق التجنيد المباشر؛ أما الحضور القوي في المجتمعات فكان للعقائد الشعبية المحلية، وهي عقائد الصوفية بكل ما فيها من خرافات، ثم زاحمها السلفيون الذين شكَّلوا خطرًا على التصوف في داخل المجتمعات.

وكانت هذه الخلطة وهذا الاضطراب موجود في أكثر بلاد المسلمين، لكنها في مصر وباكستان كانت أكثر حضورًا ورمزية.

فباكستان كانت ولا زالت فيها الجماعة الإسلامية التي تقترب كثيرًا من الإخوان المسلمين، ورمزها هو أبو الأعلى المودودي[1] الذي

([1]) أبو الأعلى المودودي (1399هـ)، وُلِد في مدينة أورنك آباد الدكن بولاية حيدر آباد، له مشاركاته في الصحافة والتأليف، وكان قائد حركة الجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية، وللاستزادة ينظر: أبو الأعلى المودودي فكره ودعوته، أسعد جيلاني ـ ترجمة دكتور سمير عبد الحميد إبراهيم ـ شركة الفيصل بلاهور ـ طبعته الأولى بالعربية 1398هـ / 1978م. الإمام أبو الأعلى المودودي: حياته، دعوته، جهاده، خليل أحمد الحامدي ـ المكتبة العلمية ـ لاهور ـ الباكستان ـ 1980م.

يعتبر رمزًا عالميًّا حتى لدى الإخوان؛ لما يمثله فكره من تعبير حقيقي عن واقع وأصول جماعة الإخوان؛ أما مصر فهي منطلق جماعة الإخوان ورموزهم العديدين.

ولعلي هنا في غنى عن إثبات القول :إن السعودية منطلق السلفية تأثرت هي أيضًا بهذه الفوضى الفكرية، وسوف يأتي الحديث عنها لاحقًا.

أما العالم المسيحي فإن نهاية السبعينيات الميلادية (التسعينيات الهجرية) شهدت ظروفًا أنشأت لديهم صحوة دينية.

ففي أوربا كانت الحربان العالميتان[1] بما ظهر فيهما من ويلات ودمار قد أثمرتا في أوربا موجة إلحاد نتجت عن كون الكهنوت

---

[1] الح up هي: حرب عالمية نشبت بين القوى الأوروبية في 28 يوليو 1914 وانتهت في 11 نوفمبر من عام 1918. وتقدر خسائر الحرب العالمية الأولى بأكثر من 9 ملايين مقاتل لقي حتفه؛ وتفاقم معدل الإصابات بسبب التطور التقني والصناعي للمتحاربين، وتعد أحد أعنف صراعات التاريخ، وتسببت في التمهيد لتغييرات سياسية كبيرة تضمنت ثورات في العديد من الدول، وقد جمعت الحرب الدول التي لديها القوى العظمى، والتي جُمعت في مجموعتين من الدول المتعارضة: قوات الحلفاء (الوفاق الثلاثي وهم المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وإيرلندا، فرنسا والإمبراطورية الروسية). ودول المركز (الإمبراطورية الألمانية والإمبراطورية النمساوية المجرية والدولة العثمانية ومملكة بلغاريا).

وأما الحرب العالمية الثانية: فقد بدأت في الأول من سبتمبر من عام 1939 في أوروبا وانتهت في الثاني من سبتمبر عام 1945، شاركت فيه الغالبية العظمى من دول العالم منها الدول العظمى في حلفين عسكريين متنازعين هما: قوات الحلفاء: أمريكا وبريطانيا والاتحاد السوفيتي وفرنسا والصين وغيرها، ودول المحور: ألمانيا وإيطاليا واليابان وغيرها، وانتهت الحرب العالمية الثانية بخراب العالم فقد أودت بحياة الملايين تقدر بـ (**50 و85 مليون قتيل**)، كما أنها محت مستعمرات بشرية من الوجود كما حصل في هيروشيما وناغازاكي؛ لذلك تعد الحرب العالمية الثانية أكثر الحروب دموية في تاريخ البشرية. وللاستزادة ينظر: الحرب العالمية الأولى مشاهدات علمية من كتب سياسية، سايمون آدامز. وأيضًا له: الحرب العالمية الثانية. الحرب العالمية الأولى، محمد بركات. موسوعة الحرب العالمية الأولي والثانية، الحسيني الحسيني معدي.

المسيحي[1] بأجنحته الثلاث؛ الأرثوذكسي والكاثوليكي والبروتستانتي[2] لم يستطع أن يقدم للعقول والقلوب ما يفسر به ما حل من دمار؛ فلجأ الناس إلى الإلحاد بأنواعه الثلاثة أيضًا؛ إنكار الإله، وإنكار الدين، وإنكار أثر الدين في العمل[3]؛ لكن عصر السبعينيات أدركه جيل شاب لم يشهد الحربين العالميتين، وأحس كثيرًا بالضياع الذي تسبب به هذا الإلحاد وشعر بالحاجة إلى روحانية تنقذه من كثير من معاناته النفسية، فكان التوجه إلى التديُّن يشبه أن يكون انتفاضة على عصر الإلحاد؛ وفي الولايات المتحدة كان الشعب الأمريكي للتو قد فرغ من الحرب الفيتنامية[4] التي صُدم فيها الشعب الأمريكي بقوته ودولته؛ فبعد أن كان يعيش معنويات المنقذ الأقوى في العالم، خسر خسائر جسيمة في الأرواح، فكان ذلك أحد أسباب الرجعة إلى الدين في المجتمع الأمريكي مضافة إلى أصل النشأة

---

[1] أي: رجال الدين المسيحي أو رجال الكنيسة، والكهنوت: يمنحون صفة القداسة، وتعطى لهم السلطة المطلقة في أحكام الدين وفي منح صكوك الغفران؛ يقول تعالى مبيناً انحرافهم: {اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله} . [التوبة: 31]، ينظر: الملل والنحل للشهرستاني (2/ 25)، الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (1/ 47).

[2] هي فرق النصارى، وللاستزادة ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (2/ 583).

[3] كان العالم الأوربي في ذلك الوقت ما بين ملحد شيوعي لا يؤمن بوجود إله، وما بين مقرٍّ بوجود إله لكن ينكر الدين والتدين، وهو ما اصطلح بـ (الربوبيين)، وما بين منتسب للدين لكنه علماني، يقرُّ بالدِّين دون أن يعترف بأثره على حياته.

[4] حرب فيتنام أو الحرب الهندوصينية الثانية كانت نزاع بين جمهورية فيتنام الديموقراطية (شمال فيتنام)، متحالفة مع جبهة التحرير الوطنية، ضد جمهورية فيتنام (جنوب فيتنام) مع حلفائها (وكانت الولايات المتحدة الأمريكية إحداهن) بين 1 نوفمبر 1955م - 30 أبريل 1975م، وانتهت بانسحاب القوات الأمريكية في 1975م. وللاستزادة ينظر: هزيمة أمريكا في فيتنام، د. أمل خليفة. التجربة التاريخية الفيتنامية، ياسين الحافظ، https://www.qssas.com/story/181.

للدولة الأمريكية؛ إذ يعتبر البعد الديني واضحًا في ظروف نشأتها، وأيضا الاحتياج الروحاني الذي أحس المجتمع الأمريكي بشعوره الجمعي بالحاجة إليه بقدر موجة التحرر الكبير الذي كانت بدايته مع أوائل العشرينيات من القرن العشرين.

وقد وصل الشعور الديني في الغرب إلى النخب السياسية، فكان المحافظون في أمريكا وأوربا عبارة عن تيارات دينية تعبر عن قاعدة شعبية شديدة التدين وفق مفاهيمهم للتدين، وقد أثر ذلك على سياستهم في الشرق الأوسط، لاسيما الولايات المتحدة التي اتخذت لدعمها للكيان الصهيوني بعدًا دينيًّا عبَّر عنه بول فندلي في كتابه "من يجرؤ على الكلام" في فصل مستقل أسماه تمهيد الطريق للمخلص[1] .

المهم من كل ذلك أن نأتي إلى القول: إن الصحوة الدينية كانت - ابتداء من نهاية التسعينيات الهجرية (السبعينيات الميلادية)- شعورًا لا تختص به المملكة العربية السعودية دون غيرها، ولا العالم الإسلامي، بل العالم أجمع.

الصحوة في السعودية:

حين نقول: إن الصحوة الدينية برزت في العالم المسيحي والعالم الإسلامي مع نهاية التسعينيات؛ فإننا نؤكد على أن نشأة المملكة العربية السعودية ابتداء من 1319هـ حتى إعلانها باسمها الجديد (السعودية) عام 1351هـ، وأيضًا بعهود قادتها؛ ابتداء من المؤسس الملك عبدالعزيز وحتى الملك سلمان ؛ كلها تعبر عن صحوة دينية، فالعصبية التي اختارها الملك عبدالعزيز أسوة بآبائه؛ لتكون محورًا لتأسيس الدولة هي عصبية التوحيد والرجوع إلى التدين الصحيح

---

[1] وانظر أيضا: البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي - الصهيوني ليوسف الحسن.

الذي كان عليه سلف الأمة[1].

وكان الانتساب بالدولة إلى الإسلام ومنهج السلف الصالح كثيرًا في كلمات وخطب المؤسس رحمه الله؛ بل كانت مراعاته عظيمة جدًّا في أوامر الملك الرسمية وتصرفاته الخاصة.

فقد ألَّف رحمه الله كتاب **"الورد المصفى المختار من كلام الله تعالى وكلام سيد الأبرار"**[2] وهو كتاب من صفحات عدة ينقل فيه الملك أذكاره التي كان يتعاهدها يوميًّا من كلام الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، لكن قيمة هذا الكتاب تتجاوز هذا الحد في كونه ردًّا عمليًّا على أوراد أصحاب الطرق المخترعة، والتي هي مبتكرات لكل شيخ طريقة يلقنها أتباع الطريقة وتصبح شعارًا لها، وقد كان أصحاب الطرق هؤلاء يُشيعون عن الدعوة السلفية أنها منهج بدعي تكفيري لا يحبون الله ولا رسوله، فكان هذا الورد من رأس الهرم السلفي ردًّا عمليًّا على هذه الطرق.

كما دعم الملك عبدالعزيز إحياء وطباعة عدد من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، والقاضي أبي يعلى، وابن قدامة، وابن القيم، وغيرهم من أعلام المنهج السلفي الذي يعتبر الملك عبدالعزيز أبرز من أحيا تراثهم في عالم الطباعة[3].

كما أسس الملك عبدالعزيز دار التوحيد في الطائف سنة 1364 وكانت مرتبطة مباشرة بالشعبة السياسية بالديوان الملكي؛ وهي مدرسة دينية تخرج فيها الكثير من العلماء والأدباء الذين قادوا حركة

---

(1) فإن كل دولة لا بد أن تقوم على عصبية معينة، كعصبية الفكر أو القبيلة أو غيرها كما ذكره ابن خلدون، ينظر: تاريخ ابن خلدون (1/ 40).

(2) ينظر: http://ia600409.us.archive.org/35/items/abu_yaala_wird_musafa/wird_musafa.pdf.

(3) منها كتاب لابن تيمية وهو الاستغاثة المعروف بالرد على البكري. وكتب لابن القيم: كروضة المحبين ونزهة المشتاقين ومختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة وكتاب عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين. ومنها شرح الطحاوية. والعديد من كتب الدعوة النجدية، ينظر: http://www.alriyadh.com/96117 .

العلم والثقافة في المملكة العربية السعودية فيما بعد[1].

وبعده كان إنشاء المعهد العلمي سنة 1370هـ وكان الإشراف عليه من لدن مفتي المملكة العربية السعودية في عهده الشيخ محمد بن إبراهيم[2].

كما كانت المناهج الدينية في التعليم العام زاخرة بعلوم الدين؛ ابتداء من الصف الأول الابتدائي حيث يدرس الطلاب التوحيد والفقه والقرآن في سن مبكرة.

كما أسس الملك عبدالعزيز كلية الشريعة بمكة عام 1369هـ لتستقبل أول دفعة من خريجي دار التوحيد في الطائف، وتبعتها كلية العلوم الشرعية في الرياض عام 1373هـ[3].

وكانت الفتوى الشرعية التي عليها العمل فتوى حنبلية صرفة لا تخرج –غالبًا– عما في كشاف القناع ؛ وأما ما استجد من النوازل فإنه يراعى فيها مذهب أحمد بن حنبل -رحمه الله- وطريقته؛ ومن راجع فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم وجد الأمر على ما تحدثت عنه؛ وكانت النظرة إلى المستجدات الحديثة لدى المفتين دائمًا تحمل توجس أن يؤول الأمر في الديار السعودية إلى ما آل إليه في بلاد الشام ومصر والعراق من سفور واختلاط... إلى غير ذلك، وهذا التوجس نلاحظه في كثير من فتاوى العلماء آنذاك؛ كفتوى الشيخ محمد بن إبراهيم في الاختلاط؛ وكغيرها من الفتاوى المتعلقة بالمرأة؛ ككشف وجه المرأة ولباس المرأة، وغيرها.

والحقيقة: أن هذا التوجس لم يكن دون أسباب منطقية، وتنم عن قراءة عميقة للواقع؛ وفي الغالب الأعم كانت الدولة تقف من فتاوى العلماء موقف المؤيد، ولم يكن هناك أي تنافر ظاهر بين الدولة والعلماء، بل على العكس كان هناك انسجام كبير جدًّا مع وجود الاختلافات في

---

(1) ينظر: http://www.alriyadh.com/581765.

(2) ينظر: https://units.imamu.edu.sa/shis/Magma-inst/profile/Pages/default.aspx

(3) ينظر: https://uqu.edu.sa/main/AboutUs .

بعض القضايا، إلا أن العلماء كانوا يحفظون للدولة مكانتها ويعرفون لها حقها؛ كما كانت الدولة تفعل الشيء نفسه في جميع العهود؛ ابتداء من عهد المؤسس حتى عصرنا الحاضر؛ ولذلك كانت جميع المؤسسات التعليمية الدينية والدعوية تتوسع ويزيد تنوعها مع قدوم ملك جديد؛ فقد ازداد عدد المعاهد الدينية من اثنين إلى قرابة الخمسين معهدًا حاليًّا والكليات الشرعية من اثنتين في عهد الملك عبدالعزيز إلى ما يزيد عن العشرين إضافة إلى مدارس تحفيظ القرآن الكريم وأقسام الدراسات الإسلامية وكليات الدعوة وأصول الدين؛ وكذلك أنشأت الدولة جمعيات تحفيظ القرآن الكريم ومكاتب الدعوة والمكاتب التعاونية.

فكانت الدولة راعية للنشاط الديني بشكل كامل، وليس هناك حتى اليوم في السعودية نشاط تعليمي ديني خارج نطاق مؤسسات الدولة حتى المدارس العتيقة الخاصة التي كانت موجودة قبل قيام الدولة السعودية؛ كالمدرسة الصولتية[1] بمكة أصبحت ضمن العمل العلمي المؤسسي الذي تقوم به الدولة.

وكذلك الأمر فيما يتعلق بالنشاط الدعوي، فجميع المؤسسات الدعوية في الداخل والخارج هي تحت إدارة الدولة وإشرافها؛ سواء منها ما كان تحت إدارة وزارة الحج والأوقاف والتي أصبحت فيما بعد وزارة الشؤون الإسلامية، أم ما كان تحت إشراف إدارات أخرى؛ كرابطة العالم الإسلامي ، وكذا الندوة العالمية للشباب التي تم إنشاؤها سنة 1392هـ في أواخر عهد الملك فيصل رحمه الله.

وكانت الدولة عبر وسائلها الإعلامية تشيد بمكانتها الدينية ويؤيدها الخطاب العلمائي والدعوي في ذلك.

وكان لوقوف الدولة السعودية مواقف جبارة في نصرة قضايا

---

[1] كانت بداية "الصولتية" عبارة عن مجموعة من "الكتاتيب" الصغيرة داخل الحرم المكي عام 1290هـ، ثم اشترت الثرية الهندية "صولة النساء"، التي سميت المدرسة باسمها، قطعة أرض، وتبرعت بها للمدرسة في حي الشبيكة، وهذا هو المكان الذي لم تفارقه المدرسة منذ عام 1431هـ.ينظر: https://sabq.org/WfQo5d .

المسلمين أثره في تعزيز التدين لدى الشعب وفي تعزيز روح الانتماء والمواطنة أيضًا؛ فقد وقفت الدولة مواقف صادقة مع القضية الفلسطينية، ومع ثورة الشعب الجزائري[1]، ومع الثورات وحركات الاستقلال العربية والإسلامية كلها؛ كما وقفت مع ثورة الشعب الأفغاني على الاجتياح الروسي في بداية الثمانينيات[2] وغير ذلك من المواقف التي يعسر حصرها.

ومما تقدم يمكن القول: إن الصحوة الدينية في المملكة العربية السعودية قامت مع قيام الدولة السعودية ونشرها للتدين والعلم الشرعي الصحيح.

لكن هذه الفترة، أي: حياة الدولة السعودية منذ إعلانها عام 1351هـ تخللها أمران:

الأول: الانحراف عن الصحوة التي كانت إحدى ثمار الدولة.

الثاني: الانحراف بالصحوة.

وهذان الحدثان كان لكل منهما تأثير على الواقع الاجتماعي والسياسي في الدولة، وسوف أتحدث عن الأول باقتضاب وأتوسع شيئاً ما بالحديث عن الآخر.

الانحراف عن الصحوة:

كان شباب الجزيرة العربية يعيشون في بيئتين إحداهما: القروية، والأخرى: البدوية؛ وكانت هاتان البيئتان تتفقان في انغلاقهما عن المجتمع العربي والعالمي إلا قليلًا من الاتصال بين كل من جدة ومكة

---

(1) الثورة الجزائرية أو ثورة المليون شهيد، اندلعت في 1954م ضد المستعمر الفرنسي ودامت 7 سنوات ونصف، استشهد فيها أكثر من مليون ونصف مليون جزائري، ونجحت الثورة في تحقيق أهم أهدافها بحصول الجزائر على إستقلاله في 1962م. ينظر: الثورة الجزائرية في عامها الأول، محمد العربي الزبيري.

(2) اجتاح الاتحاد السوفيتي أفغانستان، لدعم الحكومة الأفغانية الموالية لها، والتي كانت تعاني من هجمات الثوار المعارضين للسوفييت، فأدخل السوفييت الجيش الأربعين في 1979م، وانتهت بانسحاب القوات السوفييتية بشكل رسمي في 1989م. ينظر: http://www.lazemtefham.com/2015/03/blog-post_69.html .

والمدينة مع العالم لأسباب عدة، منها: كون هذه الحواضر مرتبطة بالحجيج من كل أنحاء العالم؛ وكونها كانت جزءًا من الدولة العثمانية؛ فيطلع مثقفوها بفضل هذا الانتماء على بعض ما يدور في العالم عبر الصحافة المصرية والشامية التي كانت تصل إلى هناك بصعوبة، وأيضًا عبر الصحافة التي كانت موجودة في الحجاز؛ كصحيفة القبلة التي كانت تصدر في مكة[1].

وكان هناك نوع من الاطلاع في الأحساء، لكنه أيضًا: اطلاع ضعيف جدًّا وغير مؤثر كثيراً على الوسط الثقافي.

المهم أن اتصال المملكة العربية السعودية بالعالم بعد الفراغ من تكوينها لم يقتصر على السلطة السياسية؛ بل الطبقة المتعلمة والتي تلقت تعليمها قبل نشأة هذه الدولة؛ وكذلك الطبقة المتعلمة التي تلقت العلم عبر المدارس التي أنشأتها الدولة في الكثير من المدن والقرى والهجر.

كما اتصل الشعب بالعالم عبر الراديو الذي كان انتشاره ضئيلاً جدًّا، ثم الاتصال عبر التلفزيون.

فعبر التعليم اختلط الشباب بالمعلمين العرب الذين كانوا يفدون للمملكة من العراق والشام ومصر، وكان كثير من هؤلاء المعلمين بعثيون وقوميون وماركسيون؛ كما كانت الإذاعات العربية التي تنطلق من مصر والعراق تبث الفكر العروبي القومي الثوري، وعرف الشباب أشياء مما في العواصم العربية التي كانت تعتبر إذ ذاك متقدمة بمراحل عن بادية المملكة وحاضرتها؛ فسمعوا عن الحياة المتمدنة والمواصلات المتقدمة والأبنية الإسمنتية والكهرباء، والثقافة والجامعات؛ وكل ذلك شكّل لديهم ما يمكن أن نسميه بالصدمة الحضارية والشعور بالنقص أمام هؤلاء الوافدين العرب، والذين جاءوا إليهم بأفكار توصف

---

(1) جريدة القبلة أصدرت من مكة المكرمة في 15 شوال 1334هـ الموافق 15 أغسطس 1916م، وكانت تطبع في المطبعة الحكومية (الهاشمية) الأميرية الواقعة في أجياد بمكة المكرمة، وكان الشيخ محب الدين الخطيب أول مسئول لها ثم خلفه أ. حسين الصبان. ينظر: http://kt-b.com/?p=8105 .

بأنها تقدمية.

وقد انضاف إليهم عمال مثقفون عرب اشتغلوا في الشركة العربية الأمريكية للزيت[أرامكو] وكانوا يمثلون الأفكار الماركسية، وكان لهم أيضًا تأثير سريع على عدد كبير من الشباب السعودي الذي أصيب بصدمة حضارية وافتتان بالفكر الثوري الماركسي والقومي الناصري والقومي البعثي[1].

هذا الافتتان كان له أثر في تحريك انصرافة شبابية عن التدين الذي صنعته الدولة السعودية، ولم تكن هذه الانصرافة شخصية فقط؛ أي: لم يكن أثرها مقتصرًا على السلوك الفردي للشباب؛ بل كان كذلك وتجاوزه إلى تغير الولاء السياسي؛ فوجد من الشباب السعودي ماركسيون يؤمنون بالشيوعية حلًّا لمشكلات العالم، وبالفعل يقول البعض: إنهم كونوا حزبًا يسمى حزب العمال السعودي؛ وكان منهم ناصريون يوالون جمال عبدالناصر، ويطمحون إلى أن تقوم ثورة ناصرية في المملكة العربية السعودية.

وقد قام بعض هؤلاء بمحاولات للانقلاب باءت كلها بالفشل ولله الحمد؛ وكان منها محاولة اغتيال بعض الشخصيات من الأسرة المالكة في الطائف؛ وكذلك هروب أحد الطيارين ومعه مرافق له بالطائرة إلى مصر وتسليم الطائرة إلى مصر، التي بدورها رفضت إعادتها.

الشاهد من ذلك: أن انتشار ضعف التدين نتيجة الصدمة الحضارية واكبه أيضًا فكر ثوري لدى القوميين والناصريين، ويبدو أن هذا الخطر لم يكن كبيرًا جدًّا؛ وذلك لقوة نفوذ الدين في الحياة الاجتماعية في البلاد؛ ومع ذلك فإن الدولة حاربت انحسار التدين، وشجعت على نشر الوعظ والإرشاد، وأكثرت من البرامج الدينية في الإذاعة والتلفزيون، وتم إنشاء إذاعة صوت الإسلام سنة 1381هـ، وبعد ذلك باثني عشر عامًا تم إنشاء إذاعة القرآن الكريم عام

---

[1] سبق التعريف بها.

1392هـ[1].

ويقال: إن التوسع في الخطاب الديني آنذاك كان ردًّا على المد القومي والماركسي في الداخل والخارج. وأعتقد أن ذلك ليس ببعيد، لكنه حتمًا لم يكن السبب الوحيد؛ فإن الدولة ترى مسؤوليتها عن عقيدة المواطن والتزامه الديني مهمة مقدسة لها.

وقد نجحت الدولة في مشاريعها لمكافحة المد القومي؛ سواء أكانت هذه المشاريع أمنية أم فكرية، وتقلص المد القومي في الداخل والخارج، ولكن أكبر صدمة أصيب بها القوميون كانت فضيحة الهزيمة أمام الكيان الصهيوني في عام 1967م[2]؛ وسبب هذه النكسة أن العداء لإسرائيل كان هو أقوى الأسلحة الإعلامية للدعاية الناصرية، وسبقه فشل الوحدة المصرية السورية[3] ، ثم فشل الحكم القومي في العراق؛ كل ذلك أدى إلى انهيار الفكر القومي أمام الدعوة إلى التدين والالتزام التي كانت تقوم بها مؤسسات الدولة.

ويمكننا أن نقول: إن عام 1390هـ كان عام تربع الملك فيصل على

---

[1] ينظر: بحوث ندوة الدعوة في عهد الملك عبد العزيز، (ص225).

[2] حرب 1967 أو حرب الأيام الستة، هي الحرب الثالثة فيما يسمى "حروب فلسطين"، أي سلسلة الحروب بين إسرائيل والدول العربية المجاورة لها. اندلعت الحرب في 5 يونيو 1967 بين إسرائيل من جهة وكل من مصر، الأردن، وسوريا من جهة أخرى بتعاون مع قوات عراقية التي كانت مرابطة في الأردن، وانتهت بهزيمة القوات العربية وانسحابها. ينظر: حرب 67، لواء أحمد جاد الرب – أستاذ كرسي التاريخ. شاهد على حرب 67، الفريق صلاح الدين الحديدي.

[3] كانت تسمَّى رسميًّا: الجمهورية العربية المتحدة، فهو الاسم الرسمي للوحدة بين مصر وسوريا والتي كانت بداية لتوحيد الدول العربية التي كانت إحدى أحلام الرئيس جمال عبد الناصر. أعلنت الوحدة في 1958م بتوقيع ميثاق الجمهورية المتحدة من قبل الرئيسين السوري شكري القوتلي والمصري جمال عبد الناصر، والذي اختير عبد الناصر رئيسًا لها والقاهرة عاصمتها، ولكنها انتهت بانقلاب عسكري في دمشق يوم 28 سبتمبر 1961م، وأعلنت سوريا عن قيام الجمهورية العربية السورية. ينظر: أربعون سنة على فشل أول نموذج لوحدة بلدين عربيين، مصطفي عمارة.
سنوات الغليان - من سلسلة كتب حرب الثلاثين سنة، محمد حسنين هيكل.

سدة القيادة الشعبية للعالم الإسلامي؛ وفي هذا العام أصبحت السعودية -دون منازع- هي قائدة العالم الإسلامي، وهي الدولة التي لا يُرد لها قول في كل بلد إسلامي.

وبالتالي أصبحت هيئة علمائها هي أقوى هيئة علمية دينية في العالم الإسلامي؛ وكانت فتاوى علماء المملكة هي الفتاوى المطلوبة في جميع أنحاء العالم الإسلامي؛ وقد شكَّل برنامج "نور على الدرب" الذي بدأت انطلاقته من إذاعة القرآن الكريم سنة افتتاحها معيارًا يقاس به مدى ثقة أبناء العالم الإسلامي بعلماء المملكة؛ فبالرغم من كون الأسئلة لم يكن لها وسيلة للورود سوى البريد الورقي العادي الذي ربما استغرق وصوله أكثر من عشرة أيام ثم يأخذ السؤال مكانه من الترتيب للطرح على الشيخ ويأخذ بذلك مدة أطول، بالرغم من ذلك إلا أن الأسئلة كانت ترد إلى البرنامج من كل أنحاء العالم الإسلامي؛ بل ومن المسلمين في الصين وأوربا؛ الأمر الذي يدل على امرين:

أحدهما: قوة الثقة بعلماء المملكة.

والآخر: انتشار المنهج السلفي، الذي كانت الدولة تدعمه وتقدمه للعالم.

وبعد انحسار أو لنقل:سقوط الأفكار التي وصفتها بالمنحرفة عن الصحوة [القومية والماركسية] ورثتها الليبرالية التي استفاد روادها في السعودية من أخطاء القوميين وأيضا من أخطاء الإسلاميين الحركيين ،ويبدو أنهم رأوا العمل على نشر وتسييد منهجهم من داخل النطاق الوطني هو الضمان ليس لبقائهم فقط ، بل ولتأثيرهم في مختلف الصعد ؛ والحقيقة: أنهم بهذه الطريقة قد نجحوا وهم يعيدون ظاهرة الانحراف عن الصحوة ؛ ولكن بطريقة أكثر تأثيراً ونجاحا.

وفي تقديري : أن وجودهم كطيف ثقافي ربما يكون له شيء من الإيجابية ، إذا أخذنا في الاعتبار التقاليد الثقافية الدولية المعاصرة ؛ إن تحدثوا عن وجهة نظرهم بعلمية ودون عدوان على المقدسات والمُسَلَّمات ؛وضمن النظام الاجتماعي العام ؛ أما وجودهم كواجهة ثقافية للدولة ذاتِ نفوذ إعلامي وقانوني ، فأعتقد أن ذلك سوف يكرر

تجربة الانحراف عن الصحوة وسوف يكون له آثار سلبية على قوة الدولة الناعمة في العالم الإسلامي ؛ وهذا الحديث ذو شجون وأذيال طويلة .

الانحراف بالصحوة:

تلك الحال التي قلنا: إن المملكة تربعت فيها على سدة قيادة العالم الإسلامي سياسيًّا وفكريًّا امتدت من عام 1390هـ حتى 1400هـ، وكانت عشرًا من السنين في منتهى الجمال من حيث وحدة الهدف بين الدولة وأبنائها، ومن حيث صدق الولاء والمواطنة، ومن حيث تعاون المؤسسة الدينية مع الدولة والعكس كذلك كا صحيحاً، ومن حيث انصياع الناس شبابًا وشيبًا نساءً ورجالاً لصوت علماء الشريعة، وعدم تطفل أحد على العلم الشرعي.

إلا أن ما بعد عام 1400هـ بدأت تحدث إرهاصات محاولة الانحراف بالصحوة.

وكانت حادثة احتلال الحرم في محرم عام 1400هـ[1] حادثة طبيعية من حيث التشدد، ويأتي طبيعيًّا في كل فكر ديني أو علماني أو وثني؛ فالجماعات المتشددة التي تخرج عن السياق الفكري لجماعتها الأم طبيعية معروفة وغير مستنكر وجودها في كل أزمنة التاريخ وكل أنحاء العالم.

والإسلام منذ ظهوره على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت بين الفينة والأخرى تخرج في تاريخه جماعات من الغلاة، ظهر أحدهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم[2]، ومن ضئضئه خرج قتلة عثمان وقتلة علي -رضي الله عنهما- والأزارقة والصفرية وغيرهم في عهد الدولة الأموية وكذلك العباسية، وأخبر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه كلما قطع منهم قرن خرج قرن حتى يخرج آخرهم مع

---

[1] وهي المشهورة بـ (حادثة جهيمان) والتي اقتحم فيها جهيمان العتيبي الحرم المكي في يوم 1 /1400/1ه، ينظر: أيام مع جهيمان، ناصر الحزيمي.

[2] ينظر: صحيح البخاري (3344)، وصحيح مسلم (144).

الدجال.

فالحادثة طبيعية من هذا الوجه، لكنها من حيث التفسير المنطقي لظهورها لم تكن طبيعية، فالدولة التي خرج عليها جهيمان كانت دولة دينية سلفية، وكان كل ما يتمناه المتدين يجده من علم شرعي وحجاب وقضاء شرعي وتقدير لأهل العلم ومؤسساتهم ومحاضراتهم.

بل إن الحرية في إقامة المخيمات والتنقلات في مدن المملكة وبين المساجد كانت مكفولة للجميع ،حتى إنها إنها إحدى وسائل جهيمان وجماعته في الدعوة إلى منهجهم التكفيري وحركتهم.

وقد تمت إدانة هذه الحركة على شكل واسع من العلماء وطلبة العلم، وكانت إشارة إلى وجود فكر يريد أن ينحرف بالصحوة عن مسارها ويريد أن يحفر خندقاً بين العلماء والدولة؛ وقد وضع طبع الكتب المنسوبة لجهيمان العتيبي في مطابع مجلة يسارية منابذة للفكر الديني، وضع هذا الأمر علامة استفهام حول وجود مؤامرة من خارج البلاد وراء تحريك هذا الرجل مقصدها ضرب التدين في البلاد.

كما أن الضعف العلمي لجهيمان الحامل لشهادة الصف الرابع الابتدائي علامة استفهام أخرى حول حقيقة من كتب هذه الكتب؛ كما أن تزامنها مع حركة متطرفة في القطيف من قبل أنصار المرجع الشيرازي في إيران، كل ذلك يضع العلامات حول انتمائها إلى برنامج استخباراتي يستهدف أمن المملكة ويسعى لصرف الدولة عن مشروعها الإحيائي.

وكان اختيار جهيمان الحرمَ المكي ميدانًا لمعركته مع الدولة اختيارًا أدى إلى افتضاحه ونفور الناس من دعوته بحيث لم يعد لها أي امتداد، وكانت محل ذم ونقد الناس جميعاً.

إذاً فحركة جهيمان لم يعد لها بعد القضاء عليها أي آثار فكرية سلبية؛ بل كانت آثارها إيجابية؛ وذلك من زيادة تعلق الناس بدولتهم وتجديد شعورهم بنعمة الأمن والقيادة الرشيدة.

وبذلك لم تكن حركة جهيمان هي الحركة الأخطر على مستقبل العلاقة بين الدولة والمتدينين أو الفتوى الشرعية في جميع المجالات أو أهل العلم أو المؤسسات الدعوية والعلمية.

بل العكس، فقد استمرت الدولة في منهجها في دعم العلم والعلماء ، وإن كانت أمنياً وضعت بعض القيود على حركة الوعظ والإرشاد وتم اشتراط أن تكون تحل مظلة مؤسسات الدولة العلمية.

وقد مضت الدولة بعد عام 1400هـ في مشروعها الإسلامي داخليًّا وخارجيًّا، واستمر نمو المعاهد العلمية ومدارس تحفيظ القرآن وحلق تحفيظ القرآن ومكاتب الدعوة والمكاتب التعاونية وتكثيف الدين في المناهج الدراسية، وكذلك البرامج الإذاعية والتلفزيونية الدينية، كل ذلك وفق منهجية مرتبة ومدروسة متناسبة مع الزيادة المطَّردة للتدين بين الشباب؛ وقد دعمت الدولة الأنشطة الطلابية غير الصفية؛ من رحلات ومعارض ومراكز صيفية وغيرها؛ وأحست الدولة: أنها نجحت في بث روح التدين والالتزام، وأثر ذلك كثيرًا على الناحية الأمنية في البلاد طولًا وعرضًا أثرًا إيجابيًّا كما كان ملاحظًا.

كما كثرت في ذلك التاريخ الجهات الخيرية، وأقواها كان منبثقًا عن الدولة؛ كهيئة الإغاثة الإسلامية التابعة لرابطة العالم الإسلامي، أو تابعًا لبعض الشخصيات الاعتبارية؛ كمؤسسة الأمير سلطان الخيرية.

ودعمت المملكة موقف المجاهدين الأفغان ابتداء من عام 1401هـ.

ولستُ مع القول بأن حادثة احتلال الحرم وراء كثير مما حدث من دعم التوجه الديني الذي جاء بعدها؛ وذلك للأسباب التالية:

1- أن تنامي التدين جاء في سياق اجتماعي تاريخي طبيعي جدًّا دوليًّا وإقليميًّا ومحليًّا، واستجابة الدولة لحركة التدين ليست خارجة عن أصل نشأتها ومبادئها التي قامت عليها، ويستثنى من ذلك دعم الدولة المباشر للجهاد الأفغاني؛ فمع أن الوقوف في قضايا المسلمين كان منهجًا للدولة منذ قيامها إلا أن تدخلها بهذه القوة لم يكن إلا لهذه القضية.

والسبب في ذلك: أن التدخل السُّوفييتي في أفغانستان قد اعتبرته السعودية وكذلك الولايات المتحدة ضمن المشروع الروسي القديم، والذي رَاوَد القياصرة الروس من أربعة قرون وهو الوصول للمياه الدافئة، الأمر الذي كان يشكل تهديدًا مستقبليًّا للمملكة ودول الخليج

العربي.

والحقيقة أن الحرب الأفغانية كانت إحدى عوامل الانحراف بالصحوة، من خلال التقاء الشباب في معسكرات الجهاد الأفغاني بحركيين ثوريين من دول إسلامية لا تتمتع بواقع ديني إيجابي كالذي في السعودية ، لكن بعض أولئك الشباب السعودي حملوا الأفكار وأعرضوا عن الفروق الواقعية بين دولتهم والدول الأخرى ؛ ومن أبرز أمثلة هؤلاء الشباب "أسامة بن لادن" الذي تأثر ببعض المصريين كأيمن الظواهري ، والذين ينتمون لواقعٍ وتاريخ مختلف عن الواقع والتاريخ السعودي ؛ وليس في هذا تبريراً لتطرف الظواهري ، لكن أي زعم يمكن أن يتكلم به الظواهري عن مصر لن يجد له يجد له مثيلاً في السعودية ، فتأثر ابن لادن به كان نوعا من صغر العقل والعجز عن حسن التقدير.

2- لم يكن جهيمان وصحبه -لاسيما بعد فعلتهم النكراء في الحرم المكي واستشهاد العشرات من رجال الأمن على أيديهم- لم يكن لهم أي انتشار جماهيري أو تأييد عُلمائِي يمكن للدولة أن تخشاه أو ترضخ له أو تتنازل من أجله.

كيف بدأ الانحراف بالصحوة ولماذا؟

بالرغم من المظاهر الجميلة التي تحدثنا عنها قبل قليل، والتي أجزم أنها لم تجتمع في دولة إسلامية منذ القرن السابع الهجري؛ فقد كانت مدن المملكة العربية السعودية أنقى المدن الإسلامية، ليس في عصرنا الحاضر وحده، بل هي أنقى من الكثير من العواصم الإسلامية في التاريخ الإسلامي منذ قرون عديدة.

إلا أن عام 1400هـ كان هو التاريخ الذي شبَّ فيه عن الطوق فتيان أصبحوا شبابًا ممن تأثر بالفكر الثوري الذي نظَّر له بعض المفكرين الإسلاميين من خارج المملكة العربية السعودية.

وأصل القصة: أن حرب جمال عبدالناصر على جماعة الإخوان في مصر أنتجت أدبيات جاذبة للفكر الشاب، ومنها النَّفَس الثوري

والمظلومية، والحديث الكبير عن استعادة أمجاد الأمة الإسلامية، وتطبيق الشريعة الإسلامية، وتآمر الحكام المسلمين مع دول الاستعمار ضد الشعوب المسلمة، وحاجة الأمة إلى قائد يعيد نهضتها، ووجوب التضحية بالنفس والمال في سبيل هذه الغايات؛ ولم يكن الخطأ في أصل هذه الأدبيات، لكن الخطأ في تنزيلها على الواقع في المملكة العربية السعودية؛ فالسعودية من كل النواحي لم تكن مثل مصر في عهد عبدالناصر[1]، أو مثل سوريا في عهد ما بعد الاستعمار الفرنسي[2]، وفي عهد حافظ الأسد[3]، وليست مثل العراق في عهد عبدالكريم قاسم[4].

لكن هذه الأدبيات انتشرت بين الفتيان في التسعينيات الهجرية، وظهر أثرها فيما بعد الأربعمائة وألف حين شبَّ أولئك الفتيان؛ فتقمص

---

[1] جمال عبد الناصر حسين (١٥ يناير ١٩١٨م - ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠م)، هو ثاني رؤساء مصر. تولى السلطة من سنة 1956م إلى وفاته، وهو أحد قادة ثورة 23 يوليو 1952، التي أطاحت بالملك فاروق، والذي شغل منصب نائب رئيس الوزراء في حكومتها الجديدة. ينظر: http://nasser.bibalex.org/Common/pictures01-%20sira.htm .

[2] كان إخراج آخر جندي فرنسي مستعمر عن الأراضي السورية في 17 أبريل 1946م، وهو اليوم الوطني للجمهورية السورية حاليا.

[3] هو حافظ الأسد (6 تشرين الأول 1930 - 10 حزيران 2000)، رئيس الجمهورية العربية السورية والأمين العام وعضو القيادة القطرية في حزب البعث العربي الاشتراكي والقائد الأعلى للجيش والقوات المسلحة ما بين العامين 1971م - 2000م، والتزم الأسد بالأيديولوجيا البعثية وشهدت سوريا في عهده ازدياداً في الاستقرار باتجاه نحو العلمانية والصناعة، لتعزيز البلاد باعتبارها قوة إقليمية.

[4] هو عبد الكريم بن قاسم بن محمد بن بكر بن عثمان الفضلي الزبيدي -(21 ديسمبر 1914م - 9 فبراير 1963م)، ضابط عسكري ورئيس وزراء العراق والقائد العام للقوات المسلحة ووزير الدفاع بالوكالة من عام 1958 إلى 1963، ويعدُّ أول حاكم عراقي بعد الحكم المَلكي، ومن أحد قادة ثورة 14 تموز 1958م. ينظر: مقال من هو عبد الكريم قاسم في مجلة الكاردينيا http://algardenia.com/fereboaliraq/3030-2015-02-07-20-06-48.html .

كثير منهم روح المظلومية التي عانى منها الإخوان المسلمون في مصر وسوريا والعراق، وكانوا أي الإخوان في تلك الدول يعيشون الظروف نفسها؛ ولذا كان تأثرهم بالفكر الإسلامي الثوري لسيد[1] والمودودي[2] أمرًا منطقيًّا في ظل غياب توجه فكري رشيد يوضح للشباب الفروق بين ظروف البلدان، بل ويبين لهم الصورة الكاملة لعلاقة الإخوان مع السلطة في مصر.

وقد ساعد على انتشار الفكر الثوري بين فئات من الشباب عدة عوامل من بينها:

1- ثقة الدولة المطلقة بالمتدينين من طلبة العلم واستبعادها أن ينتشر من خلالهم فكر مضاد لها؛ لذلك لم تعمل في إيجاد أساليب الوقاية من الانحراف الفكري أو مراقبة الأفكار التي تنتشر بين الشباب؛ بل كانت على العكس من ذلك: تقدم التسهيلات التامة لإقامة المحاضرات والندوات وجمع التبرعات، ولم تكن إقامة محاضرة في مدرسة أو مسجد تستلزم أي إجراءات تسبقها؛ فالكل متاح له أن يتكلم، والكل متاح له أن يحاضر؛ ولم يكن هناك أي تحفظ على الكتب الفكرية الدينية مطلقًا، وكانت هذه السماحة من إيجابيات الدولة العظمى، ولكن مع الأسف تم استغلالها استغلالًا سيئًا في بعض الأوقات ومن بعض الأشخاص.

2- وجود تجنيد لاعتناق بعض الأفكار التي انحرفت بجزء من الصحوة عن مساره؛ وهذا التجنيد كان مباشرًا وغير مباشر؛ مما اعطى لما يحدث شكلًا من أشكال التنظيم السري، وليس مؤكدًا ما إذا

---

(1) سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي (9 أكتوبر 1906م - 29 أغسطس 1966م)، أحد أبرز قادة الإخوان في مصر، وهو كاتب وأديب وكان رئيسًا سابقًا لقسم نشر الدعوة في الجماعة، ورئيسًا لتحرير جريدة الإخوان المسلمين. ينظر: http://mawdoo3.com/%D9%85%D9%86_%D9%87%D9%88_%D8%B3%D9%8A%D8%A. F_%D9%82%D8%B7%D8%A8 .

(2) سبق تعريفه.

كان هناك تنظيم فعلي أم أن الأمر كان يجري بصورة تلقائية، ولكن الذي يمكن الجزم به: أن هناك سقيًا للأفكار وتصديرًا للزعامات والقيادات.

3- ظهور شخصية مؤثرة، وهو: الشيخ محمد سرور زين العابدين[1]، الذي قدم من سوريا عام 1388هـ إلى بريدة، بعد خلافه مع الإخوان المسلمين، وكان الرجل -رحمه الله- يحمل فكرًا سلفيًّا في توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، ويحمل همّ الدعوة إليها؛ ومن أجلها تم طرده من جماعة الإخوان؛ ومن أجل هذه العقيدة والدفاع عنها حصل لهذا الرجل جاذبية كبيرة في بريدة وعنيزة والرياض، لكن الأمر الذي لم يكن يوافِق فيه عقيدة السلف هو: السمع والطاعة ولزوم الجماعة، وبعض الأفكار التي سنتطرق إليها قريبًا.

ومع أن طرد سرور زين العابدين من المملكة وتفطن الدولة لفكره كان مبكرًا (وهو عام 1394هـ)، إلا أنه استمر في الدعوة إلى أفكاره ونشرها بشكل أكثر صراحة في الكويت حيث ذهب؛ وهناك من شك في كونه هو المؤلف الحقيقي لكتب جهيمان العتيبي؛ والذي يؤكده بعض الأمنيين ممن تولوا التحقيق مع جهيمان، وسألتُهم شخصيًّا: أن سرور كان له دور ترتيب تلك الكتب ومراجعتها وتنسيقها، وليس هناك ما يؤكد كونه هو المؤلف الحقيقي لها.

والجدير بالتنويه إليه هو أن طرد محمد سرور زين العابدين من

---

[1] محمد سرور بن نايف زين العابدين (١٩٣٨م - ١١ نوفمبر ٢٠١٦م) عالم سوري، غادر من سوريا بعد نكبة الإخوان المسلمون في الستينيات متجهًا إلى السعودية، وأصبح مدرساً في المعهد العلمي في بريدة في منطقة القصيم، ولما طرد منها في 1394هـ انتقل إلى الكويت ثم إلى بريطانيا، من مؤلفاته: دراسات في السيرة النبوية، منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، العلماء وأمانة الكلمة.

السعودية كان استجابة لنصيحة الشيخ الدكتور مناع القطان[1] (العالم المصري المنتمي لجماعة الإخوان المسلمين) مما يؤكد عمق الخلاف الفكري بين جماعة الإخوان وبين سرور زين العابدين، وهو خلاف كان له أثر في نشاط المنتسبين للإخوان والمنتسبين للتيار السروري في ذلك الوقت.

وبعد خروج سرور زين العابدين من الكويت أصدر في لندن مجلة "السنة" وكانت هذه المجلة تمد الشباب بأفكار سرور الثورية، وتعبِّئهم ضد المملكة العربية السعودية، ومع أن هذه المجلة كانت ممنوعة من الدخول في البلاد إلا أن أعدادًا منها كانت تصل بشكل شخصي عبر البريد، ثم يتم تصويرها ونشرها.

4- وجود البيئة الذهنية الشبابية القابلة لتقبل الفكر الثوري الحركي، وسبب وجودها يعود لعوامل عدة، من أبرزها: بعد العلماء عن الشباب؛ فالعلماء لم يكونوا يولون الأنشطة الشبابية أدنى عناية، الأمر الذي استغله رواد التيارات الحركية وملأوا من خلاله أفكار الشباب بالأدبيات التي شكلت انحرافًا بالصحوة عن طريقها الصحيح.

أهم أفكار الحركيين في المملكة العربية السعودية:

الغالب على أفكار الفكر الحركي: أنها أفكار جميلة وجيدة ومتوافقة مع الدعوة السلفية التي قامت عليها المملكة العربية السعودية، وموافقة لأصول أهل العلم؛ ويمكن تحديد الأفكار الخاطئة في خمس أفكار، ولكنها مع قلتها بالنسبة للأفكار الجيدة كان لها الأثر الأكبر في الانحراف بجزء من الصحوة عن المسار الصحيح.

أما الأفكار الصحيحة؛ فيمكن تلخيصها في: اتباعهم لمنهج السلف

---

[1] القاضي الشيخ مناع خليل القطان (1925م – 1999م)، عالم دين سني من مصر، جاهد في فلسطين عام 1948م ومن بعدها دعاه الملك عبدالعزيز رحمه الله للتدريس في المملكة وفق خطته للتنمية العلمية، كان آخر مناصبه إدارة المعهد العالي للقضاء، من مؤلفاته: تاريخ التفسير ومناهج المفسرين، تفسير آيات الأحكام، مباحث في علوم القرآن الكريم.

في توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات وأركان الإيمان وغيرها من مسائل العقيدة؛ وكذلك حرصهم على فقه السلف ومدرسة أهل الحديث والسعي لتطبيق هذا الفقه في حياتهم الخاصة، وفي مجتمعهم، وفي الحياة العامة؛ وهذا الأمر -مع النشاط العالي للتدين وتأثير الحركيين فيه- جعل الشعب السعودي بحق -في الجملة- من أكثر شعوب العالم الإسلامي التزامًا بتعاليم الدين والسنن الظاهرة، ومن أكثر شعوب المسلمين حرصًا على البر والاتباع العملي لجيل الصحابة قدر الإمكان رجالًا ونساء.

وكانت المرأة السعودية هي أكثر النساء في العالم التزامًا بالحجاب ومظاهر التدين؛ كما ضرب الشباب السعودي أمثلة رائعة في طلب العلم أنتجت الكثير من العلماء في مختلف المجالات الشرعية والطبية والهندسية؛ ووصلت المرأة إلى العمل الأكاديمي وأصبحت الأمية نادرة جدًّا في صفوفها.

وكانت الأجواء التي توفرها الدولة من منع المنكرات وأسبابها والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونشر دُور العلم كانت هذه الأجواء مساعدة على ذلك.

لكن يبقى أن هناك أفكارًا أدى اعتناقها إلى التعكير على هذا الخير، ومنها:

1- اختيار التفسير المرجوح لقوله تعالى: {ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون} وهو أن المراد بالكفر: الخروج من الملة؛ وهذا الاختيار هو ترجيح بعض علماء الإخوان المسلمين، والظاهر أيضًا: أنه ترجيح الشيخ سرور زين العابدين، لكنه التفسير المرجوح عند علماء السلف ومن بعدهم من المفسرين[1]، وقد تتبعت ذلك في كتابي **"مهمات من مسائل التكفير"**.

نعم، كانوا ينزلون هذا التكفير والإخراج من الملة على حكام الدول

---

[1] ينظر: تفسير الطبري ط هجر (8/ 456)، تفسير ابن كثير ت سلامة (3/ 119)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (3/ 87).

العربية والإسلامية، ولم يكونوا يصرحون بتنزيله على حكام السعودية؛ إلا أن هذا الأمر سهّل على دعاة التكفير تنزيله على المملكة أيضًا، وكان لهذا أثره فيما حدث بعد ذلك من إرهاب وتطرف تورط فيه بعض الشباب وبعض طلبة العلم أيضا.

2- نظرة الشك والريبة لما تفعله الدولة السعودية من خير وعدم الثناء به عليها، فلا تكاد تجد لهم شريطًا أو كتابًا يثنون به على منجزات الدولة، بل مع أن كثيرًا منهم شارك في الجهاد الأفغاني، إلا أنهم لم يتكلموا بكلمة واحدة[فيما أعلم] فيها شكر للدولة التي تدعم المجاهدين وتسهل أسباب المشاركة في الجهاد؛ وكذلك لا تجد لهم أي ثناء على منجزات الدولة العلمية والعملية والدعوية في الداخل والخارج، بل ربما تأول تلك الأعمال بتأويلات يُسيئون فيها للدولة ككونها تخادع الناس باسم الإسلام.

ومع ذلك كانوا شديدين في نقد أي مخالفة أو خطأ يصدر من أجهزة الدولة؛ بل ربما زعموا وجود أخطاء ليست موجودة إلا في أذهانهم؛ كما فعل أحدهم حين زعم أن المناهج السعودية حُذف منها القضاء والقدر وعُرّف فيها التوحيد تعريفًا إرجائيًّا وحذفت منها آيات الجهاد وذم اليهود، وقد ردت عليه وزارة المعارف في حينه ردًّا شافيًا.

وكانت قاعدتهم الجماهيرية سريعة في تصديق الشائعات والأكاذيب التي تُروَّج على الدولة دون أن تجد من قياداتهم تأديبًا على هذا السلوك نحو تصديق الإشاعات (هذا في الغالب).

3- تزهيد الشباب في العلماء الكبار عن طريق إشاعة كونهم ليسوا فقهاء بالواقع؛ والواقع يعنون به: السياسة الدولية وحاجات المرحلة؛ وقد كان لهذا أثره في اقتصار الشباب من العلماء الكبار على الأحكام الفقهية؛ أما كلام هؤلاء العلماء في الفتن وكيفية التعامل معها فكان الشباب يلجأون إلى الرموز من الدعاة الذين كان لهم جماهيرية بين الشباب اكتسبوا معظمها من اللغة الحادة والثورية التي واجهوا بها الدولة.

وقد كان هذا التزهيد في العلماء من أسباب انصراف بعضهم إلى

قراءة الطرح التكفيري الذي كان يروجه أمثال المقدسي وأبي قتادة وغيرهم.

4- التزهيد في كتب العقيدة القديمة بزعم أنها كتبت في زمن ليس زمننا، وقد نص سرور زين العابدين على ذلك في كتابه "**دعوة الأنبياء**"؛ والسبب في هذا التزهيد: أن متون كتب العقيدة القديمة ولاسيما الكتب المسندة تتحدث كثيرًا عن لزوم الجماعة وطاعة ولاة الأمور، وتقدم ذلك عن السلف بالإسناد.

والحقيقة: أن هذه النقطة بالذات تأثر بها الدعاة من رموز الشباب كثيرًا، وأثروا بها على من يتابعهم، ولهذا كان الحديث في تلك الفترة، وأعني: ما بعد الألف وأربعمائة وحتى عشر سنوات أو أكثر بعدها؛ كان الحديث عن الطاعة ولزوم الجماعة غائبًا في الساحة الدعوية العامة، ولا يوجد إلا في خطاب العلماء الذين يحسبون على أنهم رسميون؛ كالشيخ ابن باز وابن عثيمين.

5-عدم العناية بأحكام ولوازم البيعة؛ نعم: لا أذكر الآن أن أحدًا منهم نفى البيعة وأحكامها، لكنني لا أتذكر أيضًا أن أحدًا منهم تكلم عنها رغم وجود الموجب لذلك في ذلك الوقت.

هذه أهم الأفكار التي أجزم بأنها انحرفت بالصحوة في المملكة العربية السعودية عن مسارها الذي كان العلماء والدولة على حد سواء ماضون فيه؛ ولم يكن العلماء ينكرون أنه يوجد أخطاء وتجاوزات من الدولة، لكنهم يصنفونها في سياقها الطبيعي، ويرون أن الحكم للغالب، وليس للأقل، ويرون أن هذه الأخطاء في مقابل حسنات الدولة من أقل القليل الذي لا يُجحد الكثير بسببه؛ وأن هذا القليل يمكن معالجته بالنصح والكلمة الطيبة وليس بالإثارة والتصيد والتشهير.

السروريون والإخوان:

ما مضى من الحديث كان في الأعم الأغلب ينصب على التيار الذي اشتهرت نسبته إلى الشيخ محمد سرور زين العابدين؛ وقد قال هو في أحد البرامج التلفزيونية ما يُشبه أن يكون اعترافًا، بتأسيس تنظيم لكن الوقائع المادية لا تثبت ذلك ولا تنفيه؛ فهل ما كان يجري من

ترتيبات ومن تواصل ناتج عن تنظيم سري أم أن تلك الترتيبات كانت تجري بتلقائية؛ هذا الأمر لا يمكن – حاليًا – الجزم به.

كما أن التفريق بين المنتسب للفكر السروري والمنتسب للفكر الإخواني ربما يكون واضحًا في غير السعودية.

أما السعودية فالأمر فيها صعب جدًّا لاشتراك الدعاة والمثقفين في الدعوة إلى التوحيد والعلم والعمل الإنمائي والدعوي واشتراك الفريقين في النظر إلى العلاقة مع الدولة، لكن البعض ممن لديهم الجرأة على التصنيف لم يتورعوا عن تصنيف من شاءوا كما شاءوا دون أن يكون لهم بيِّنة دقيقة على هذا التفريق.

مع التأكيد على أن كل من رُمي بكونه ينتسب للإخوان أنكروا أصلاً وجود التنظيم في المملكة.

نتائج الانحراف بالصحوة:

الانحراف بالصحوة وفق الأفكار التي تقدمت الإشارة إليها كانت له نتائج سيئة جدًّا؛ وكان من الممكن أن تكون أكثر سوءًا لولا أن الله تعالى وقى شرها بأمرين:

الأول: وجود الأشياخ الكبار الذين كان الناس يثقون بهم بشكل كبير جدًّا؛ وبالرغم من العمل الكبير على التزهيد في آراء هؤلاء الشيوخ فيما يتعلق بالواقع إلا أن الثقة بهم تجاوزت كل تقديرات المحرضين على الزهد في العلماء؛ والأشياخ هم: ابن باز وابن عثيمين والألباني، وبالرغم من اختلاف طرائق العلماء الثلاثة في التعامل مع الدعاة الرموز القائمين على هذا الفكر إلا أنهم اتفقوا عند القضايا الشرعية المهمة، والتي كان الحركيون يهملونها، وهي: الجماعة والطاعة وتقدير المصالح والمفاسد.

والثاني:الحل الأمني الرشيد الذي قامت به الأجهزة الأمنية في وقته المناسب وقبل انفلات الزمام.

ويكن تلخيص ما نتج عن هذا الفكر من مضار ما يلي:

1- إيجاد بيئة خصبة في قلوب الشباب لقبول الفكر التكفيري، وفي تقديري أن الفكر التكفيري الذي وُجد بعد هذه المرحلة وابتلي به

كثير من الشباب في بلادنا كان هذا الفكر ممهدًا ومهيئًا له؛ كما كان هذا الفكر والذي نشأ في مصر قبل السعودية بعقود من الزمن هو الذي نتج عنه الفكر التكفيري في مصر، ولا يغيب عن أذهاننا أن الجماعة الإسلامية التي تبنت الفكر التكفيري في مصر كانت إخوانية النشأة، على الأفكار الثورية لسيد قطب رحمه الله؛ كما أن خلفية الظواهري والمقدسي كانت أيضًا إخوانية.

2- إضعاف ثقة الدولة بالدعاة وطلبة العلم الشرعي لاسيما حينما لم يقفوا معها في مواقفها العادلة والشرعية الحرجة؛ ففي أزمة الخليج الأول عند اجتياح صدام حسين للكويت وتهديده للسعودية؛ فقد ساندت هيئة كبار العلماء موقف الدولة كما ساندها الشعب بأجمعه، وظل معظم رموز الدعاة الحركيين مترددين يقدمون رجلا ويؤخرون أخرى؛ كما كانت مواقفهم في الجملة تتردد بين الضعيفة والمنعدمة من تنظيم القاعدة ومعاداته للمملكة قبل وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

كما كانوا في الجملة أيضًا: نادري الثناء على المملكة في كل مواقفها وصنائعها؛ ومثل هذه المواقف تؤدي إلى حفر الخنادق بين الدولة وبين التوجه الدعوي برمته.

3- ظهور معارضة -تدعي الإسلامية- في الخارج للدولة السعودية؛ وكانت المعارضات التي تستهدف الدولة وتنطلق من الخارج قومية أو يسارية، وكانت أول معارضة إسلامية تنطلق من الخارج هي من ثمار تلك التيارات الحركية.

4- انقسام السلفيين؛ فقد كان أول انقسام فكري بين السلفيين عائد إلى تلك الحقبة، حيث ظهر توجه سلفي يضاد التوجه السروري، اتسم خطابه بالنقد الحاد للإخوان، وتوزيع التهم بالتبديع والأخونة وكثرة التصنيف.

نعم: إن ظهور هذا التيار التصنيفي بقوة شديدة كان له أثر جيد في إعادة شيء من التوازن في الساحة الفكرية، حيث ظهر بسببه الحديث عن الجماعة ولزومها وأقوال السلف فيها وفي طاعة ولاة الأمر؛

وكان هذا الحديث يكاد يكون مغيبًا، لكن قوة التيار التصنيفي كان له أثر ممتاز في إبراز هذه المعاني، وإن كانت له أخطاؤه هو أيضًا.

إيجابيات الصحوة:

كما تقدم؛ فالانحراف بالصحوة كان أحد المظاهر داخل الصحوة؛ **أما الصحوة برمتها، والتي تقدم تعريفنا لها: بأنها العصر السعودي بأكمله، فلا يمكن أن نصفها كلها بالانحراف**؛ وإذا أخذنا تاريخًا معينًا، وهو التاريخ الذي حدث فيه الانحراف بالصحوة ليكون محلًّا لتقييمنا؛ فإننا نقول أيضًا: إن مظهر الانحراف الذي ذكرنا بعض معالمه لم تكن شاملا للأجواء العلمية والدينية والدعوية كلها، بل هذه الأجواء شهدت إيجابيات كثيرة، لا نبالي حين ننسبها للصحوة، وتنسب الصحوة للدولة كحسنة من حسناتها.

فنقول بناء على ذلك: إن أبرز إيجابيات الصحوة هي ما يلي:

1- رعاية الدولة للصحوة في الداخل ونشر الدعوة في الخارج والقيام بشأن المسلمين جعل المملكة –كما تقدم– تتبوأ مكانة القيادة للمسلمين شعوبًا وحكومات، فكانت كلمتها وكلمة علمائها هي الأول، لاسيما في الأعوام من 1390- 1400هـ.

2- انحسار التيارات الماركسية والقومية وبعد ذلك إضعاف التيارات الليبرالية والتغريبية.

3- الحفاظ على العقيدة الإسلامية الأصيلة من التشويه والعبث، وصيانة المجتمع من الانهزام أمام طوفان العولمة والتغيير الفكري والثقافي

4- الإقبال على العلم بجميع فروعه الشرعي والتقني بين فئات الشباب ولاسيما المتدينين ؛ فبالنسبة لعلوم الشريعة أكتفي بمثال ، وهو أن السعودية بفضل من الله ثم بدعم الدولة وتأييدها أصبحت في ذلك الوقت الأولى عربيا في تصدير المؤلفات والبحوث الشرعية العالية العلمية كما أصبحت الأولى في تصدير كتب التراث المحققة ، وأصبح

العالم العربي ينظر للسعودية على أنها بلد العلماء والمؤلفين والباحثين والمحققين ؛ هذا مثال أقتصر عليه اختصاراً وإلا فللإسهاب مجال.

خاتمة وتوصيا

أختم هذه الورقة بالعودة إلى ما بدأت به، وهو أن المملكة العربية السعودية منذ تأسيسها حتى اليوم هي صحوة دينية بكل ما فيها؛ من نظام قضائي وإداري ومؤسسة دينية ودعوة وانتشار علمي وتدين مجتمعي.

وكل ما في داخل هذه الصحوة من انحراف عنها تمثل في وجود التيارات القومية والماركسية قبل التسعينيات الهجرية والليبرالية والحداثية بعد الأربعمائة وألف. أو انحرف بها تمثل في التيارات السرورية والإخوانية والتكفيرية؛ كل ذلك ينبغي ألَّا يتجاوز حجمه الطبيعي وهو: كونه سنة كونية وابتلاء إلهي بالخير والشر، والطيبات والموبقات. وعلاج كل ذلك ينبغي أن يكون بالرفق واللين والحسنى، وليس بالانقلاب على الذات.

التوصيات:

1- الحفاظ على مكانة الدولة الدينية والحفاظ على ما حققته الدولة من إنجازات علمية ودعوية ؛ فهي تمثل بعد كونها طاعة لله : القوة الناعمة للدولة ، والتي بها وحدها تستطيع بيسر وسهولة العودة إلى صدارة الأمة الإسلامية .

2- الانحراف عن الصحوة أو الانحراف بها ؛ كلاهما يشكلان خطراً وجودياً على الدولة ؛ لذلك ليس من الحكمة حين نشتكي من حالة الانحراف بالصحوة أن نلجأ إلى الانحراف عنها .

3- التدين وفق المنهج السلفي عقيدةً وفِقْهاً سيبقى مؤثراً في الوجدان السعودي وأي محاولات إعلامية أو تنظيمية لدفع المجتمع دفعاً نحو التجرد منه لن تؤدي إلى ذلك بل ستؤدي إلى إحداث تناقض داخل البنية الفكرية للمجتمع مما سينتج عنه صراع متناقضات قوي وشرس، وهذا لن يكون في صالح أحد .

4-تاريخ كل أمة هو كالعضو المكون لها، فبتره منها وتنحيتها من يجعلها ناقصة؛ والحل دائمًا هو علاج الواقع والاستفادة من التاريخ.

5- أهم شرط من شروط الاستفادة من التاريخ: هو تقوى الله، والصدق في تقييم التاريخ وأخطائه ومحاسنه، وليس اتباع الهوى في تقييمه؛ والانطلاق من الشهوات والشبهات؛ بل يجب النظر إلى التاريخ بحياد ووزن الخطأ والصواب بميزان العدل الشرعي لا بميزان مصلحة الذات أو التيار أو التوجه.

6- كما يوقعنا في الأخطاء: النظر إلى الصحوة كمقدس لا يجوز نقده؛ فإن شيطنة الصحوة وتلفيق التهم لها سوف توقعنا في أخطاء أكبر، وليس أبر ولا أبرأ للذمم من العدل.

7-نتمنى على الدعاة وطلبة العلم الذين كانوا رموزاً وشركاء فاعلين في الحراك الدعوي والفكري الجماهيري في العشر الأولى والثانية من هذا القرن دراسة مواقفهم السابقة بتجرد وعدل والتراجع المعلن عن أهم ما قصروا فيه نصيحة للأجيال من بعدهم.

8- أثبتت التجارب أن موقف الشيخين رحمهما الله -ابن باز وابن عثيمين- من الدولة في النصح لها ومد الجسور معها ، وكذلك موقف الملوك رحمهم الله منهما من التواصل معهما وسرعة الاستجابة لنصائحهما ، هو المنهج الصحيح الذي ينبغي تدبره وإشهاره والعمل به ؛لما فيه من جمع الكلمة وشد اللحمة ونشر المحبة بين الحاكم والمحكوم .

9- فترة ما بعد الأربعمائة وألف لم تأت بفقه ولا بفتوى جديدة فشن الحملات الإعلامية على الفتوى يؤدي إلى إسقاط أهل العلم الكبار ، وسقوط العلماء يؤدي إلى مزيد من الفرقة ، في وقت نحن جميعا في حاجة إلى من نجتمع على رأيه في الأزمات كما كان الحال في حياة الشيخين رحمهما الله .

10-إعادة النشاط الطلابي إلى سابق عهده تحت رقابة فكرية جادة أمر ضروري في ظل الحاجة إلى محاضن تربوية لاصفية تبني الشباب وتحفظ لهم دينهم وأوقاتهم .

-وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.